

السيرة الدرس السابع غزوة غطفان

الحمد لله، وكفاء، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، طلابنا الكرام، مرحبا بكم في أعقاب غزوة بدر، أخذت الهبة العسكرية للمسلمين مدى أوسع في ضمن نطاق الجزيرة العربية، وأحس ضعفاء المشركين بالخطر وشعر أقوياءهم بغلبة الإسلام، وبدأت النفوس تتطلع إلى الإيمان، فتوسعت دائرة الدخول في الإسلام. ورأى الكثيرون أن يدخلوا في الإسلام نثاقا أو خديعة، وبهذا كله أصبحت الدولة الجديدة أمام أوضاع جديدة من المكر والتآلب والتحالفات، فكان الأعداء يبحثون عن أية فرصة تمكنهم من إلحاق الأذى بالمسلمين، وال، بالمقابل، فإن النبي صلى الله عليه وسلم في مراقبة دائمة لتحركات الأعداء والخصوم، وكلما هم الأعداء بمهاجمة المدينة، خرج النبي صلى الله عليه وسلم لمواجهةهم، وقد تعددت تلك المواجهات والغزوات. قبل موقعة أحد، فمنها غزوة بني سليم، كانت في شوال من السنة الثانية للهجرة بعد غزوة بدر بسبعة أيام، حيث انتهزت بعض القبائل حول المدينة الفرصة بسبب انشغال المسلمين في حربهم مع المشركين. بعد بدر، فأرادت أن تشتت الحرب على المسلمين في ديارهم، وهي غزوة ذي أمر بناحية نجد، وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعا من بني غطفان، وهو موضوع درسنا اليوم، وبني محارب بن خصفا بن قيس بذيء مر، قد تجمعوا، يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجمعهم، رجل منهم، يقال له دعثور، ابن الحارث بن محارب، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم. المسلمين، وخرج في 450 معهم عدة أفراس، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، فأصابوا بالمدينة، رجل منهم بذي القصة يقال له جبار. من بني ثعلبة، فقال له المسلمون أين تريد؟ فقال أريد يثرب لارتاد لنفسي، وأنظر، فأدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره من خبرهم، قال لن يلاقوك، ولو سمعوا بسيرك هربوا في رؤوس الجبال، وأنا سائر معك، فدعاوي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، وأسلم، وضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بلال، فأخذ به جبار طريقا، وهبط به عليهم. وسمع القوم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهربوا في رؤوس الجبال، فبلغ ما أن يقالوا له ذو أمر، فعسكر به. وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مطر كثير. فابتلت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثياب أصحابه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحت شجرة، ونشر ثيابه لتجف، واضطجع، وذلك بمرأة من المشركين، واشتغل المسلمون في شؤونهم، فبعث المشركون رجلا شجاعا منهم، يقال له دعثور بن الحارث، وكان سيدها وأشجعها، ومعه سيف متقلد به، فبادر دعثور، وأقبل مشتم. السيف، حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهور، فقال يا محمد، من يمنعك مني اليوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني؟ فقال لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعا أبدا، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه، ثم أتى قومه فقالوا ما لك ويلك؟ فقال نذرت إلى رجل طويل، فدفع في صدري، فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت بأن محمدا رسول الله، والله لا أكثر عليه جمعا، وجعله يدعو قومه إلى الإسلام، أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ولم يلق كيدا، وكانت غيبته 15 ليلا، وقيل قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنجد سفر كله أي شهر كامل، ثم كانت غزوة بحران، ويبعد جبل بحران حوالي 100 كم عن محافظة طرابلس، وقعت في السنة الثالثة من الهجرة في شهر ربيع الآخر، واستمر حتى شهر جماد الأول، وكان أن وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر وهو أن جمعا كبيرا من بني سليم قد تجمع. تلك المنطقة من وادي الحجر في الحجاز، فعدى العدة، وخرج يريد القوم، وقبل أن يصل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جمع بني سليم قد تفرق، حيث جاءه رجل أخبره بذلك قبل أن يصل إلى موضع القوم بليلة واحدة، فأمر بحبس الرجل حتى وصلوا إلى تلك المنطقة، فوجد القوم قد تفرقوا، فأمر بإطلاق الرجل، وأقام في تلك المنطقة حتى شهر جمالا، الأولى، قبل أن يعود إلى المدينة المنورة مع جيش المسلمين، ولم يلق حربا. وكان أحد أهم أهداف هذه الغزوة نشرع الله تعالى المسلمين، مبادرة الأعداء والكفار والمشركين بالقتال، ليتم التمكين للعقيدة من الانتشار دون عقبات من قبل أعداء الله، وحتى يتم صرف الفتنة عن الناس ليتمكنوا من اختيار الدين الحق بإرادتهم الحرة، دون ضغوط أو تعنيف أو إجبار، وقال تعالى في محكم التنزيل. وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله. فعلاته، فلا عدوان إلا على الظالمين، وطالما أن قریش والكثير من القبائل العربية كانت تقف في وجه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكسر شوكة كفار قریش، ويتيح للضعفاء أن يدخلوا في دين الله أفواجا، دون تدخل من قریش وجبايرتها، لمنع الناس من الدخول

في دين الله تعالى، وكانت غزوة بحران كغيرها من الغزوات لكسر شوكة الكفر. الشرك ونشر الدعوة الإسلامية، ولو كره المشركون، خاصة أن المشركين كانوا في ذلك الوقت يبذلون قصارى جهدهم في سبيل الانتقام لما حدث في غزوة بدر الكبرى، بعد الهزيمة الكبيرة التي لحقت بهم، وقتل العديد من أسيادهم وإشرافهم وشعورهم بالخزي والعار أمام القبائل العربية الأخرى، لذلك كانت لهم تحركات عديدة في محاولة للهجوم على المسلمين، وقد كان لهم رسول الله. صلى الله عليه وسلم بالمرصاد في كل وقت، فكانت هذه الغزوة كالكتير من الغزوات التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي تحد من تمادي المشركين، قد تظهر قوة المسلمين وسيطرتهم، وكان من نتائج غزوة بدر ازدياد قوة المسلمين، وتهديدهم لتاريخ قريش التجاري إلى بلاد الشام، بل وشكلوا تهديدا لنفوذها في منطقة الحجاز بأسرها. لأن اقتصاد قريش قائم على رحلتي الشتاء والصيف. وإن تم قطع أحد الطرق، فذلك يلحق ضررا بالآخر، لأن تجارتهم في بلاد الشام قائمة على سلع اليمن التي هي في الجنوب، وتجارتهم في اليمن قائمة، كذلك على السلع بلاد الشام التي في الشمال، فأرادت قريش أن تهاجم المسلمين لتقضي عليهم قبل أن يصبحوا قوة تهدد كيانهم. وقد استعدت قريش وحلفائها، فذهب كل من صفوان بن أمية، وعبد الله بن ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل إلى أبي سفيان يطلب منه مالا قافلته كي يستطيعوا تجهيز الجيش لمهاجمة المسلمين، حيث كان مقدار ربح القافلة حوالي 50,000 دينار، فوافق أبو سفيان وبعثت قريش مندوبين إلى القبائل لتحريضهم على القتال، وفتحت. باب التطوع للرجال من قبائل الأحباش، وكنانا وأهل تهامة. قريش 3000 مقاتل مع أسلحة، و700 درهم، وكان معهم أيضا 3000 من البعير، وميتين فرسا، و15 نقل، ركبت عليهن 15 امرأة لتشجيع المقاتلين وتذكيرهم بما حدث في غزوة بدر، ودعمهم في حال الحاجة، وكانت القيادة العامة للجيش بيد أبي سفيان، في حين كان خالد بن الوليد قائد الفرسان بمعاونة عكرا من ابن أبي جحي، أما قيادة اللواء فكانت لبني عبد الدار قد كان لغزوة بدر. التي سبقت غزوة أحد أثر كبير في نفوس المشركين، وذلك بعد الهزيمة التي نقوها من المسلمين، فعقد المشركون عزمهم على قتال المسلمين لعدة أسباب، كالتعز والانتقام، واسترداد مكانتهم بين القبائل العربية، وتأمينا لطريق لجالتهم إلى الشام، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنية المشركين جمع أصحابه واستشارهم في كيفية مواجهة المشركين، فكان رأيه عليه الصلاة والسلام أن يكون اللقاء. دينا، حتى إذا قدم المشركون قاتلوهم أشد القتال، وإن دخلوا عليهم قاتلوهم من المداخل الضيقة، ومقدمتها، والنساء من أعلى البيوت، إلا أن الذين

تخلفوا عن معركة بدر والمتحمسين على القتال كحمزة بن عبد المطلب كان لهم الرأي في الخروج من المدينة، وقد نزل النبي صلى الله عليه وسلم على رأيهم، فلما رأوا أنهم قد خالفوا رغبة النبي، عرضوا عليهم موافقتهم على ملقات المشركين داخل المدينة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس لنبي إذا لبس لئيمته أن يضعها حتى يقاتل. ولأئيمته هي عدة الحرب، يعني من السلاح والدروع، ثم خرج من المسلمين وكان عددهم حوالي ألف مقاتل، لأن عبد الله بن أبي بن السلول وهو زعيم المنافقين رجع بـ 300 مقاتل ليصبح عددهم 700 مقاطعة، فنزلوا في أحد وجعلوا ظهرهم معسكرهم لأحد، وجعلوا قبلتهم إلى المدينة، هيء النبي عليه الصلاة والسلام للجيش للقتال، وجعل 50 من الرماة على جبل الرومات من الضفة الغربية. تحمي ظهورهم من خيول المشركين، حيث قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم. فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهرنا عليهم فلا تعينونا إلا تغادروا أماكنكم، سواء انتصرنا أم انهزمنا، ووضع النبي عليه السلام ثلاثة ألوية لواء مع أسيد بن الحضير، ولواء للمهاجرين، فكان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل مصعب بن عمير، ولواء للخزرج، وكان للحباب بن المنذر رضي الله عنه، وقيل سعد بن عباد، أما المشركون فبدأوا يستعدون لمعركة أحد، ومواجهة المسلمين. فكانت صفوفهم بقيادة أبي سفيان ابن حرب، فجعل على اليمين من الجيش خالد بن الوليد، ومن الميسرة عكرمة بن أبي جهل، وجعل المشاة صفوان بن أمية، وعلى الرومات عبد الله بن أبي ربيع. وقد حاولت قريش قبل أن تتدلع المعركة إيقاع النزاع والفرقة في صفوف المسلمين، فأرسل أبو سفيان ابن حرب للأنصار فقال خلوا بيننا وبين ابن عمنا، فننصرف عنكم، فلا حاجة لنا إلى قتالكم، لكنهم لم يكثرثوا لمقال. وردوا عليه بما يكره. وعندما تقابل الجيشان اشتدت المعركة على المشركين، فولوا الأدبار، وصاروا خلف نساءهم، حيث كان المسلمين يحومون حول الألوية، فكان كبش الكتبية طلحة بن أبي طلحة العبدري حاملا لواء المشركين، وكان من أشجع الفرسان، فهابه المسلمون لقوته وشجاعته، إلا أن الزبير بن العوام رضي الله عنه. انطلق عليه وألقاه أرضا فقتله، فقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي حواريا، وحواري الزبير، إلا أن المشركين ما يؤسوا مقام عثمان بن أبي طلحة، فحمل راية المشركين، وحمزة بن عبد المطلب. فتصدى له وقتله، فجيء بثالث من إخوانهم، وهو أبو سعد، فعمل الراية لأن مصيره، ومصير من كان من قبله، حتى انتهى المطاف بقتل عشرة من بيت أبي طلحة. سقط لواء المشركين، ولم يرفع بعدها، وتقدم حينئذ أبو دجانة رضي الله عنه، فقتل عددا

من المشركين، وتتابع انتصارات في تقدم المسلمين للقتال، حتى قدم حنظل رضي الله عنه، فحصد العديد من رؤوس المشركين، حتى وصل إلى قائدهم أبي سفيان بن حرب، فهجم عليه واحد من المشركين، فقتل حظرا، بعد ذلك حدث ما لم يكن في الحساب، فبعد ما اشتد وطيس المعركة. وهزم المشركون. فولوا مدبرين من ساحة معركة، وانسحبوا، فظن الرماة أن المعركة قد انتهت، وتحقق النصر للمسلمين، فقرروا النزول عن الجبل ليغنموا ما تركه المشركون من غنائم إلا أن قائدهم عبد الله بن جبير هو قاعد رومات ذكر لهم وصية رسول الله صلى الله وسلم بعدم ترك الجبل إلا بإذن منه، فخالفه الرماة في ذلك، وهمه بالنزول لتحصيل الغنائم، فلم يبق على الجبل إلا عبد الله بن جبير وآخرون. أي القليل، حين ذلك استغل خالد بن الوليد تلك الثغرة، وكان حينئذ قائدا في جيوش المشركين، فالتف من وراء المسلمين، وقتل عبد الله بن جبير، وقائد الرومات ومن معه، وجاء على المسلمين فرم النبال على ظهورهم، فرجع المشركون للقتال، خاصة بعد ما جاءت عمر بنتي علقمة العارفية، ورفعت لواء المشركين، فحوصر المسلمون في أرض المعركة من كل الجهات، فاضطربت صفوف المسلمين، وبدء المشركون بقتال المسلمين حتى استشهد 70 صحابيا من بينهم عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير رضي الله عنهم جميعا، وكان مصعب حينها يشبه النبي صلى الله عليه وسلم، فظن قاتله أنه قتل النبي صلى الله وسلم، فأخذ يصيح بقوله قتلت محمدا، فسمع المسلمون قوله فهز ثباتهم، وحار من أمرهم. وقد ثبت النبي عليه السلام في مواجهة المعركة، فأصيب خلال القتال القتال، وكسرت ربايعته اليمنى، وخوذته، وسال من وجهه الكريم دماؤه الطاهرة، فأحاط الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حماية له، بعد ما اشتد القتال، وشاع خبر موته، فكان من الصحابة من دافع عنه كأبو بكر الصديق، وعلي طالب، وأبو دجاجة، وسعد بن أبي وقاص، وطلح بن عبيد الله، وأم عمارة من دي كعب، وعندما انتهت المعركة. صفر الله صلى الله عليه وسلم المسلمين من خلفه، داعيا الله سبحانه وتعالى بما من عليه من حفظ، فقال رسول الله صلى الله وسلم اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لما هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقربة لما بعد، ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من فضلك ورحمتك وبركتك ورزقك، وقد ذكر ابن حجر أن مصاب. في أحد فيه من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة، منها تعريف المسلمين، سوء عاقبة المعصية، وشؤم ارتكاب النهي، لما وقع من ترك الرومات، موقفهم الذي

أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يبرحوا منه، ومنها أن عادة الرسل أن تبتل، وتكون لها العاقبة، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائما دخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائما. لم يحصل المقصود من البعث، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين، فبعد هذه الغزوة أظهر أهل النفاق ما أظهره من الفعل والقول، فعاد التلويح تصريحاً، وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم، فاستعدوا لهم، وتحرزوا منهم، ومنها أن في تأخير النصر في بعض المواطن. هضماً للنفس، وكسر لشماختها، فلما ابتلي المؤمنون صبروا، وجزع المنافقون، ومنها أن الله هياً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فقيد لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصل إليها، ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء، فساقها إليهم، ومنها أنه أراد إهلاك أعدائه. مقيضة لهم الأسباب التي يستوجبون بها، ذلك من كفرهم وبغيهم، وطغيانهم في أداء أوليائهم، تمحص بذلك ذنوب المؤمنين، ومحق بذلك الكافرين، هذا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، أختم درسنا على أمل اللقاء بكم، إن شاء الله أستودعكم الله، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.